<u>الغزو الفرنسي للخليج العربي</u>

إذا ما قيست المحاولات الفرنسية لتأسيس علاقة لها بالشرق والخليج العربي بالمحاولات البرتغالية والهولندية والانجليزية فيمكن القول أنها جاءت متأخرة، لأن هذه الدول سبقت فرنسا في تأسيس علاقاتها بالشرق بواسطة شركاتها علي غرار شركة الهند الشرقية البريطانية ، والحقيقة أن فرنسا حاولت في نفس التوقيت تقريبا أي في مطلع القرن السابع عشر تأسيس أول شركة فرنسية عام ١٦٠٤ للمتاجرة مع الشرق ولكنها انهارت سريعا لافتقارها لرأس المال، ولوجود نزاع بين المحولين ، وفي عام ١٦١١ أعادت المحاولة ولكنها بائت أيضا بالفشل .

علي أن المحاولة الناجحة والحقيقية جاءت في عام ١٦٦٤ بمبادرة من وزير المالية الفرنسي "كولبير" عندما أخذ القرار بتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية بغرض تطوير التجارة مع الهند وبلاد الشرق ، وتمكنت من تأسيس أول مستعمرة في مدغشقر ثم بدئت في أول علاقة لها بفارس عندما أرسلت عددا من البعثات في الفترة ١٦٤١-١٦٦٦ م لمقابلة الشاه عباس الثاني في اصفهان وحصلت منه علي موافقة بإعفاء الشركة من الضرائب مدة ثلاث سنوات إلي جانب حصولها علي الحقوق التجارية الممنوحة للشركات الأجنبية الأخرى وبناء عليه افتتحت الشركة الفرنسية أول مركز لها في بندر عباس في عام ١٦٦٧ م بالقرب من المركز الانجليزي وبدأت التجارة الفرنسية ولكن علي نطاق ضيق .

وقد استمرت تمارس نشاطها بهذا الشكل الضيق والمحدود حتى نهاية القرن السابع عشر وفي خلال هذه الفترة كان قد استقر عدد آخر من الفرنسيين في سورات، وأثناء ذلك لم يلعب الفرنسيون في أحداث الخليج العربي أي دور سياسي أو تجاري إلا بشكل محدود، وسبب ذلك هو ما لاقوه من مقاومة نشطة من قبل الانجليز والهولنديين إضافة للحروب الفرنسية في أواخر القرن السابع عشر والتي صرفت فرنسا عن الاهتمام بالتجارة وترك هذا النشاط في أيدي البعثات التبشيرية.

<u>العلاقات العمانية – الفرنسية في القرن الثامن عشر</u>

وجهت فرنسا منذ وقت مبكر اهتماما خاصا بمسقط من أجل السيطرة علي عمان واتخاذها قاعدة بحرية، ولذلك أرسلت في سنة١٦٦٧ م بعثة لفارس تقترح الاستيلاء علي مسقط وهوما كان يطمح إليه الفرس أيضا ولذلك تم الاتفاق بين الجانبين علي نصيب كل منهما من مسقط بعد الاستيلاء عليها، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث في الوقت الذي تمكنت فيه فرنسا من تحقيق أمرا في غاية الأهمية وهو استيلائها علي جزيرة مورسشيوش عام ١٧١٥ م والتي ستطلق عليها "إيل دي فرانس" .

باستيلاء فرنسا علي إيل دي فرانس في المحيط الهندي وتحويلها لقاعدة بحرية فرنسية هدفها الأساسي تحقيق الطموحات الفرنسية والتصدي للنفوذ البريطاني جعل إمكانية سحب مسقط لميدان الصراع الأنجلو- فرنسي سيحدث عاجلا أم آجلا بحكم :

١- أن مسقط تربطها علاقة بالطرفين (الانجليزي والفرنسي)
٢- ان فرنسا مصممة علي الهجوم من خلال هذه القاعدة علي التجارة البريطانية المتجهة من بومباى إلي مسقط في طريقها بالخليج العربي أو البحر الأحمر.

حاول عرب عمان في ظل هذا التنافس الخطر البقاء بعيدا وعدم الانضمام لأي من الطرفين تجنبا للتورط في أي صراع، ولكن مع وجود المصالح التجارية، وتقاليد الصداقة والأعراف الدولية لم يكن من السهل البقاء بدون التورط في هذه المصادمات لأن أغلبها وقع علي الأراضي العمانية كتلك التي حدثت في أعوام ١٧٥٩ م عندما حاولت ثلاث سفن فرنسية قطع الطريق علي سفينة تجارية بريطانية خارجة من مرفأ مسقط ، وانتهى الأمر بانسحاب السفن الفرنسية بعد تدخل الوالي ، وتكرر نفس الموقف عام ١٧٦١ وتدخل الوالي أيضا ضد السفن الفرنسية المنطلقة من إيل دي فرانس وأجبرها علي الانسحاب ، ونفس الموقف عام ١٧٧٨ م وسبب تدخل الوالي في كل المحاولات السابقة إلي جانب الانجليز بسبب عدم احترام الفرنسيين لحياد عمان وللإهانة التي ألحقها الفرنسيين بالعلم العماني.

لا يفهم من المواقف السابقة أن العلاقات العمانية الفرنسية تحولت بسبب هذه الحوادث للعداء وذلك للأسباب الآتية:

١ - مبادرة الفرنسيين باسترضاء الإمام بالاعتذار، وتقديم الهدايا لما كان يبدر منهم داخل حدود بلاده.

٢ - وجود علاقات تجارية نشطة بين عمان وايل دي فرانس طوال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فقد كانت الجزيرة تصدر السكر وبعض المنتجات الأخرى إلي مسقط وتستورد منها المنتجات الغذائية كالحبوب ،والملح، والتمر.

٣-أن هذه التجارة مع المستعمرات الفرنسية كانت تعود علي العمانيين بالنفع لأنهم كانوا يتولون بأنفسهم نقل التجارة إلي تلك المستعمرات أحيانا وفي أحيان أخرى كان الفرنسيون يستوردون احتياجاتهم من المؤن بواسطة السفن العمانية مما كان يعود بالنفع أيضا علي العمانيين.

<u>فشل المخططات الفرنسية لإنشاء قنصلية في عمان</u>

كانت الحكومة الفرنسية قد قررت قبل قيام الثورة الفرنسية بعام أي في سنة ١٧٨٨م إنشاء قنصلية في مسقط بسبب أهميتها القصوى من حيث يمكن اتخاذها نقطة لمراقبة النشاطات البريطانية في الهند ، واستخدامها كمصدر تمويل السفن في حال تجدد الحرب مع بريطانيا ، غير أن اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م أوقف تنفيذ هذا المخطط، ثم عاودت المحاولة في عام ١٧٩٣م عندما دعتها الحاجة لتقوية نفوذها في عمان فصدر القرار في مارس ١٧٩٥م بتأسيس قنصلية وتعيين بوشامب عليها وجاء الغرض من إنشائها بهدف التجسس علي الانجليز في الهند، ودراسة الطرق التي يمكن أن يستخدمها الفرنسيون في غزوهم للشرق، ولكن لم يقدر لهذا المخطط ايضا أن ينجح لأن بوشامب وهو في طريقه لمسقط ألقي القبض عليه في القسطنطينية وأودع السجن ومن وقتها لم يصل أي قنصل فرنسي لمسقط حتى عام ١٨٩٤م.

<u>موقف عمان من الصراع البريطاني- الفرنسي ١٨٠٣-١٨٠٨م</u>

سعت فرنسا مع مطلع القرن التاسع عشر لتوطيد علاقتها بفارس باعتبارها أحد الميادين التي يمكن من خلالها توجيه ضربة للبريطانيين في الهند ، أما الميدان الاخر فكان عمان في منطقة الخليج العربي الذي احتل مكانة خاصة في مخططات نابليون بونابرت ولذلك فعندما تحرك الأسطول الفرنسي عام ١٨٠٣ مغادرا المياه الفرنسية ومتوجها إلي أيل دي فرانس بغرض فرض الهيمنة الفرنسية علي البحار الشرقية، والتعرف علي وضع البريطانيين في الهند وعلاقتهم بالأمراء المحليين لتمهيد السبيل لاستعادة الممتلكات الفرنسية في الهند ، لعبت مسقط هنا كواحدة من المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية دورا مهما لنجاح هذا المخطط بسبب موقعها من ناحية ولهيمنتها علي أجزاء مهمة من ساحل أفريقيا الشرقي من ناحية أخرى ولذلك كان من الضروري لتحقيق مخطط نابليون في توجيه ضربة للبريطانيين في الهند من إقامة تحالف قوي مع حكام مسقط وهذا ما أكد عليه وزير الخارجية تاليران.

وبالرغم من النفوذ البريطاني في مسقط إلا أن ذلك لم يمنع الحكومة الفرنسية من التقدم وتنفيذ مخططها شجعها علي ذلك أن الرسائل الرسمية لحاكم أيل دي فرانس وضحت أن حاكم عمان سلطان بن أحمد ليس آلة بيد البريطانيين وأنه راغب في الحفاظ علي أفضل العلاقات مع الفرنسيين، ولذلك وبعد التفاهم الذي جرى بين نابليون ووزير خارجيته تاليران اتفقا علي القيام بتحرك جديد تجاه مسقط فاقترح تاليران إرسال بعثة رسمية لمسقط في أكتوبر ١٨٠٣ برئاسة دي كافيناك ووافق نابليون وانطلق كافيناك متوجها لمسقط لتأسيس الروابط مع سلطان بن أحمد والبقاء في مسقط كمقيم فرنسي.

وعندما وصل كافيناك لمسقط وطلب مقابلة سلطان بن أحمد وتزويده بمقر للإقامة ليفاجئ برفض سلطان بن احمد كافيناك كمقيم في بلاده لأنه بذلك سيخرق الاتفاقية القائمة بينه وبين البريطانيين، وأنه يرفض إجراء لقاء معه لمناقشته في هذا الموضوع، وفي نفس الوقت أراد أن يطمئن الفرنسيين بانه يرغب في استمرار علاقة الصداقة معهم، وان موانيه ستظل كالسابق مفتوحة لسفنهم، وانه سيصغى لعروضهم التجارية .وبهذا فإن بعثة كافيناك قد فشلت، فانعكس ذلك علي علاقة أيل دي فرانس بمسقط فأصابها التوتر، وفي النهاية فإن ذلك لم يمنع الفرنسيين من استخدام مسقط كميناء للتزود بالمؤن لسفنهم المنطلقة من أيل دي فرانس.

مقتل سلطان بن أحمد وتولي بدر بن سيف :

في نوفمبر ١٨٠٤ قتل سلطان بن أحمد في كمين بحري وانفرد بالحكم بعده بدر بن سيف الذي اتسم عهده - الذي لم يكتمل العامان – بالسير علي سياسة سلفه في عدم التورط في النزاع الأنجلو- فرنسي فسمح للبريطانيين باتخاذ مسقط قاعدة لسفنهم التي تقوم بأعمال دورية في الخليج، وفي الوقت نفسه حافظ علي العلاقات بين عمان وأيل دي فرانس.

اغتيال بدر بن سيف وتولي سعيد بن سلطان بن أحمد

في صيف ١٨٠٦ اغتيل بدر بن سيف علي يد ابن عمه سعيد بن سلطان بن أحمد الذي أعلن نفسه سلطانا علي البلاد ، وفي عهده بدأت مرحلة جديدة في تاريخ عمان استمرت قرابة النصف قرن. ومع بداية عهد سعيد بن سلطان تجدد صراع السفن الفرنسية مع السفن الانجليزية مما أوقعه في حرج انتهى بتورطه في هذا الصراع وهو التورط الذي وصل إلي حد الخسائر المادية عندما استولت سفينة فرنسية في خريف عام ١٨٠٦ علي ثمان سفن مسقطيه قرب سيلان واستولت علي حمولتها وهو مالم يكن مؤلفا من قبل قيام السفن الفرنسية بسلب رعايا عمان، ولكن جاء هذا التصرف ردا علي أسر القوات البريطانية لسفينة فرنسية حينما كانت تتمون في مسقط وهددوا حاكم مسقط بإخراجها من المرفأ وإلا يعد خارقا لمعاهدته مع بريطانيا ولما اضطر لتنفيذ ذلك بادروا بأسرها

ولخوف سعيد بن سلطان من وقوع المزيد من الأعمال الانتقامية أرسل للجنرال الفرنسي يبرر موقفه ويطالب بإعادة بضائعه المسلوبة ، معربا عن صداقته ووده للفرنسين. وانتهي الموقف بعقد معاهدة بين الطرفين العماني والفرنسي في عام ١٨٠٧ اتفق الطرفان بموجبها علي ١- أن يمنح كل منهما رعايا الآخر امتيازات في كل الشؤون المتعلقة بالتجارة والملاحة ٢- حرية سفنهما التجارية في استخدام كل الموانئ الفرنسية والعمانية .

انحسار النفوذ الفرنسي في الخليج العربي

شجع النجاح الدبلوماسي الذي حققه البريطانيون في فارس والدولة العثمانية من قبل وما ترتب علي ذلك من قوة نفوذهم قياسا بمنافسيهم الفرنسيين علي التقدم والقضاء علي معاقل فرنسا في المنطقة ، ولذلك قامت بريطانيا بعقد سلسلة من الاتفاقيات مع حكام المنطقة جعل موقفها أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضي، ما منحها الفرصة الكافية للتفرغ للقضاء تماما علي النفوذ الفرنسي واستئصال الوجود الفرنسي ليس فقط من الخليج العربي ولكن من المحيط الهندي ومداخله . لقد كان هذا القرار غاية في الأهمية لأنه سيضع حدا لحرب الاستنزاف البحرية التي مارسها الأسطول الفرنسي ضد الوجود البريطاني في المنطقة، ولذلك ينبغي الاشارة إلي أن هذه المحاولة لم تكن الأولى من نوعها ففي عام ١٧٩٣ و١٧٩٤م

حاولت بريطانيا حصار الجزر الفرنسي لكن المقاومة الفرنسية تغلبت عليها، للأسباب الآتية:
١- انشغال الحكومة البريطانية بشؤون الهند.

٢- أن الظروف لم تناسب بريطانيا في هذا التوقيت لاقتطاع جزء من قواتها في الهند للقيام بعملية مكلفة وبعيدة.

٣- احتلال فرنسا لمصر ١٧٩٨ جعل تفكير بريطانيا يستهدف اخراجها من مصر أولا لذلك كان الهدف الأول لحملاتها هو تحقيق هذا الغرض كما حدث في حملة ١٨٠٠ (راجع ص٣٠١-٣٠٣)
٤- الصعوبات المالية التي كانت تواجهها شركة الهند الشرقية البريطانية، وعدم تأييد الوزارة لأي عملية خارج الهند .

وأخيرا وبعد أن تمكن البريطانيون في يوليو ١٨١٠ من إنزال الهزيمة بالفرنسيين في جزيرة البوربون تحركوا للاستيلاء علي جزيرة ايل دي فرانس وفي ديسمبر من العام نفسه سلم القائد الفرنسي الجزيرة للبريطانيين بعد فشل المقاومة

وجري الاتفاق بين الجانبين علي:

١ - عدم معاملة الجنود الفرنسيين كأسرى حرب.
٢ - نقلهم إلي فرنسا علي سفن بريطانية بكامل أسلحتهم.

وهكذا لا تكون بريطانيا قد نجحت في الاستيلاء علي الجزيرتين الفرنسيتين فقط بل في إخراج فرنسا نهائيا من الخليج العربي والمحيط الهندي. الكتاب الرئيسي ص٢٧٥-٣٠٤

س: سبب تأخر فرنسا في المجيء للخليج مقارنا بباقي الدول الاستعمارية

س الوسائل التي اتخذتها فرنسا لفرض سيطرتها علي الخليج

س هل استطاعت مسقط في ظل الصراع الانجليزي الفرنسي الحفاظ علي حيادها؟ ولماذا؟

س عدد المحاولات التي قامت بها بريطانيا للاستيلاء علي الجزر الفرنسية ؟

س لماذا نشطت الخطط الفرنسية في السنوات الثلاث الأخيرة من القرن الثامن عشر للقضاء علي النفوذ البريطاني في الخليج ؟

س هل يمكنك تقييم الموقف الفرنسي من حيث علاقته بمسقط ، عدم قدرته علي التغلب علي المنافسة البريطانية، العلاقات مع فارس وانعكاسها علي الخليج